حَوْلِيَّةُ سِمِنَارِ التَّارِيخِ الإِسلاميِّ والوسيط

٦

الهيئة المصرية العامة للكتاب

حَوْلِيَّةُ سِمِنَارِ التَّارِيخِ الإسلاميِّ والوسيط

مجلة سنوية محكمة تعني بالتاريخ الإسلامي والوسيط

يصدرها سمنار التاريخ الإسلامي والوسيط

بالجمعية المصرية للدراسات التاريخية

حقوق الطبع محفوظة

للهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب

١٨٧٥٠

الترقيم الدولي

١٤٤٠هـ/٢٠١٨م

قطعة ٤ بلوك ٧ ـ المنطقة التاسعة ـ شارع د. رؤوف عباس ـ مدينة نصر ـ القاهرة

تليفون : ٠١١٢٧٣٨٩١٢ ـ ٢٤٧٢٨٢٩٤ ـ ٢٤٧٢٨٢٩٦ ـ فاكس : ٢٤٧٢٨٢٩٨

Email: Seehist1995@yahoo.com

الهيئة المصرية العامة للكتاب

حَوْلِيَّةُ سِمِنَارِ
التَّاريخِ الإسلاميِّ والوسيط

تُصْدرها

الجمعية المصرية للدِّراسات التاريخية

المراسلات : الأستاذ الدكتور أيمن فؤاد سيد

رئيس مجلس إدارة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية

العدد السادس

القاهرة

٢٠١٨م

رئيس مجلس الإدارة أ. د/ أيمن فؤاد سيد

هيئة التحرير

رئيس التحرير أ. د/ حسين عبد الله مراد
مدير التحرير د/ محمد فوزي رحيل
المحررون : أ. د/ صلاح عاشور
أ. د/ عبير زكريا سليمان
د/ عبد الناصر عبد الحكم
أ.د/ نهلة أنيس مصطفى

الهيئة الاستشارية

أ.د/ إسحق تاوضروس عبيد
أ. د/ أيمن فؤاد سيد
أ.د/ حاتم عبد الرحمن الطحاوي
أ.د/ عفاف سيد صبرة
أ.د/ محمود إسماعيل عبد الرازق
أ.د/ يسري أحمد زيدان

الآراء الواردة بهذه المجلة تعبر عن وجهة نظر أصحابها ،
ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر الجمعية أو السمنار أو الناشر

شروط النشر

ـ أن يكون الباحث عضوًا في الجمعية المصرية للدراسات التاريخية .

ـ أن يتسم البحث بالأصالة المنهجية العلمية ، والجدة في الموضوع .

ـ أن يكون البحث صحيح اللغة سلس الأسلوب واضح الدلالة .

ـ ألا يكون قد سبق نشره ، أو قُدِّمَ للنشر إلى جهة أخرى ، وألا يكون مستلًّا من رسالة علمية .

ـ ألا تزيد صفحات البحث عن ٣٠ ورقة .

ـ أن يكتب المتن بخط Simplified Arabic بنط ١٤ ، والعنوان الرئيس بنط ١٨ Black ، والعناوين الجانبية بنط ١٤ Black .

ـ الحواشي:

= الحواشي العربية بنط ١٢ Simplified Arabic حسب النظام المعمول به في هذا العدد .

= الحواشي اللاتينية بنط ١٠ Times New Roman حسب النظام المعمول به في هذا العدد .

ـ أن تذكر المعلومات الببلوجرافية للمصادر والمراجع كاملة عند أول ذكر لها في الحواشي ، استغناءً عن قائمة المصادر والمراجع .

ـ يسلم عدد ٢ نسخة ورقية من البحث لمقر الجمعية بمدينة نصر خلف مدرسة المنهل ، وترسل نسخة إلكترونية لمدير التحرير الدكتور/ محمد فوزي رحيل على البريد الإلكتروني raheela2010@gmail.com

ـ تحكيم البحوث يكون سِرِّيًا ، بمعرفة هيئة تحرير المجلة .

كلمة التحرير

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه . يسعد هيئة تحرير حولية سمنار ، التاريخ الإسلامي التي يصدرها سمنار التاريخ الإسلامي والوسيط بالجمعية المصرية للدراسات التاريخية أن تقدم للقراء الكرام العدد السادس ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٨م من الحولية ، وهي الحولية التي أسسها الراحل المؤرخ الجليل الأستاذ الدكتور علي السيد علي ـ رحمه الله ـ عام ٢٠١١م . ويضم هذا العدد بين دفتيه أحد عشر بحثًا ، تطوف بنا عبر فرعَي التاريخ الإسلامي والوسيط؛ إذ يلحظ المطالع لبحوث العدد تنوع الدراسات المقدمة بين فرعَي التخصص ، كتبها مجموعة من الباحثين المجيدين من مختلف الجامعات المصرية ، وافتتح العدد بمقال حول العطاء العلمي لمؤسس السمنار أ .د/ علي السيد علي ـ طيب الله ثراه ـ بعنوان «علي السيد رائد دراسات الحرم القدسي الشريف» ، وبدءًا من هذا العدد تنوى أسرة التحرير افتتاح الأعداد القادمة بمقال حول سيرة أحد رواد تخصص التاريخ الإسلامي والوسيط الراحلين أملًا في حفظ سير هؤلاء الأعلام حتى تكون قدوة ونبراسًا لأجيال قادمة من المؤرخين .

وترحب أسرة السمنار بالمتخصصين في التاريخ الإسلامي والوسيط للمشاركة في جلسات السمنار الشهرية ، بإلقاء بحوثهم بشرط الأصالة المنهجية وجدة الموضوع ، ومن يرغب في نشر بحثه في الحولية سوف يقدم للتحكيم السري بمعرفة هيئة التحرير ، وما يجاز منها ينشر في الأعداد التالية إن شاء الله . كما يرحب السمنار بجميع المتخصصين والمهتمين بمختلف فروع التاريخ لحضور الجلسات لإثرائها بالنقاش المُثمر .

ويطيب لأسرة التحرير تقديم أسمى آيات الشكر والتقدير لمجلس إدارة الجمعية برئاسة المؤرخ الجليل والمحقق الكبير الأستاذ الدكتور أيمن فؤاد سيد ؛ لجهودهم الدؤوبة لازدهار الجمعية المصرية للدراسات التاريخية لتظل في صدارة الجمعيات التاريخية العربية .

والله من وراء القصد والهادي إلى سواء السبيل،،،،،،

أسرة التحرير

المحتـويات

الصفحة

على السيد علي رائد دراساتُ الحرمِ القدسيِّ الشريف
محمد فوزي رحيل ١١-١٦

أسرةُ ثيوفلاكت ودورُها السياسيُّ والدينيُّ في روما
محمد زايد عبد الله ١٧-٥٠

مكتباتُ الأديرة في ضوْءِ التيبيكا البيزنطيةِ
نعيمة محمد إبراهيم ٥١-٨٦

سفاراتُ العلماءِ في العصرينِ الغزنويِّ والسلجوقيِّ
مرفت رضا ٨٧-١٣٠

الوشايةُ وأثرُها في البلاطين المرابطيِّ والموحديِّ
أحمد إبراهيم رفاعي ١٣١-١٤٨

دولةُ الخطَا في الصينِ وتركستانَ وكرمانَ
عبد الناصر إبراهيم عبد الحكم ١٤٩-١٨٢

ادعاءُ النبوةِ في مصر والشامِ عصر سلاطينِ المماليكِ
محمود عبد المقصود ثابت ١٨٣-٢١٨

الكلابزيةُ في عصرِ سلاطينِ المماليكِ
أحمد عبد الله أحمد ٢١٩-٢٤٤

قراءةُ الجوقِ وقراؤها في مصَر خلال القرنينِ ٨-٩هـ
محمد جمال حامد الشوربجي ٢٤٥-٢٦٨

المجددونَ والتاريخُ الإسلاميِّ (الإمام محمد عبده نموذجًا)
حسام عبد الظاهر ٢٦٩-٣٠٢

صورةُ صلاحِ الدينِ في السينما الغربيةِ بينَ الحقيقةِ والخيالِ
فتحي عبد العزيز محمد ٣٠٣-٣٢٣

قراءة الجوق وقراءها في مصر خلال القرنين (٨-٩هـ/١٤-١٥م)

محمد جمال حامد الشوربجي*

ملخـص

يتناول هذا البحث دراسة بدايات ظهور طريقة الجوق وتطورها، وأشهر المؤسسين لهذه الطريقة، وأشهر الجوق ومن انضووا تحتها وحفظ القرآن بها، ومشاركة هذه الجوق في الاحتفالات الدينية والمراسم الجنائزية، وأجور أصحابها، كما يعالج مسألة تدهور وانحراف طريقة قراءة الجوق، وموقف العلماء والمشايخ من ذلك، ويختم البحث بثبت بأسماء قراء الجوق خلال فترة الدراسة.

مقدمة

قراءة الجوق هي أحد طرق قراءة القرآن الكريم التي ابتدعها المصريون وانفردوا بها عن غيرهم وكانوا سببًا في نشرها في العالم الإسلامي[١]، وهناك إشارة إلى قدم هذه الطريقة في مصر فقد جاء في ترجمة القاضي المالكي الحارث بن مسكين (ت٢٥٠هـ/٨٦٤م) أنه كان يضرب القراء الذين يقرؤون بالألحان[٢]، ولعل هذا

---

* باحث حاصل على الدكتوراه في التاريخ الوسيط.

(١) أعتقد أن هذه الطريقة ظلت حتى أوائل القرن العشرين الميلادي حيث توحدت تحت مسمى مشيخة عموم المقارئ المصرية.

(٢) المقريزي (أحمد بن علي، المتوفى ٨٤٥هـ/١٤٤٢م): المقفى الكبير، تحقيق: محمد اليعلاوي، بيروت ـ دار الغرب الإسلامي ١٩٩١م، ٣: ١٣٥.

هو السبب في اختفائها وقلة اتباعها؛ لكن مع انتشار التصوف وإباحة السماع بدأت هذه الطريقة في الظهور مرة أخرى فيذكر الإمام أبو شامة المقدسي (ت٦٦٥هـ/١٢٦١م) أن من بدع الجنائز في أيامه «ترك الإسراع بها والإنصات فيها وقراءتهم فيها القرآن بالألحان»[١].

وقد جاء في ترجمة الشمس محمد بن يوسف الصالحي (ت٨٠٧هـ/١٤٠٤م) أنه كان في سنة ٧٦٠هـ/١٣٥٩م يقرأ بالألحان ويعلم الصبيان ذلك[٢]، وقد وصلت هذه الطريقة إلى الذروة في أوائل القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، فالسخاوي يذكر في كتابه الضوء اللامع ما يقارب الستين شخصًا احترفوا القراءة في الجوق[٣].

وأَجْوَاقٌ جمع جَوْقُ وهم الجماعة من الناس[٤]، ويقصد بجوق القراء جماعة من القراء يقرؤون القرآن بالألحان، ويترواح أفرادها ما بين الثلاثة إلى عشرة تقريبًا[٥]، وقد حاز قُرّاء الجوق شهرة زادت على شهرة القُرّاء العاديين، وكان مرد

---

(١) أبو شامة (عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي المتوفى ٦٦٥هـ/١٢٦١م): الباعث على انكار البدع والحوادث، تحقيق: محمد محب الدين أبو زيد، القاهرة ـ دار مجد الإسلام ٢٠٠٧م، ٢٣١.

(٢) ابن قاضي شهبة (أبو بكر أحمد بن قاضي شهبة الأسدي المتوفى ٨٥١هـ/١٤٤٨م): تاريخ ابن قاضي شهبة، تحقيق: عدنان درويش، دمشق ـ المعهد العلمي الفرنسي ١٩٩٧م، ٤/ ٤: ٤٥٧.

(٣) انظر الملحق رقم ١.

(٤) إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، إستانبول ـ المكتبة الإسلامية للطباعة النشر ١٩٧٢م، ١٤٨.

(٥) محمد محمد أمين: مصارف أوقاف السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون على مصالح القبة والجامع والمدرسة ومكتب السبيل، «دراسة ونشر وتحقيق» (الوثيقة رقم ٦/٤٠ المحفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة، وصورتها رقم ٨٨١ ق المحفوظة بأرشيف وزارة الأوقاف بالقاهرة)، نشرت ضمن ملاحق الجزء الثالث من كتاب تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه لابن حبيب الحلبي، القاهرة ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠١٠م، ٤٠٤؛ حجة وقف المؤيد شيخ رقم ٩٣٨، جمادى الآخرة سنة ٨٢٣هـ، أرشيف وزارة الأوقاف، نشرها: فهمي عبد العليم، ضمن ملاحق كتاب جامع المؤيد،=

ذلك زيادة التغني بالقرآن أكثر من القراء العاديين مستخدمين في ذلك ما يعرف بالمقامات[١] لإطراب الناس فقصدهم الجمهور لذلك[٢]، وأصبح هناك طريقتان للقراءة والحفظ : الطريقة العادية وطريقة الجوق ، وعلى هذه الطريقة حفظ كل من جمال الدين عبد الله بن خليل المارداني (ت٨٠٩هـ/١٤٠٦م)[٣] وقطلوبغا الكركي (ت٨٠٩هـ/١٤٠٦م)[٤] القرآن الكريم ، وبها حفظ الزين محمد بن النحاس (ت٨٦٤هـ/١٤٦٠م) القرآن وانتظم في سلك قراء الأجواق[٥].

اجتهدت في التعرف على طريقة قراءة الجوق هل كانت جماعية أم الشيخ كان يقرأ والجوقة تردد على نغم واحد أم أن القراءة فردية داخل الجوقة وإن كانت تسير على منهج واحد فما أن ينتهي الشخص حتى يبدأ الآخر؟ ورغم أني لم أجد إجابة لهذا السؤال إلا أنني أعتقد أنها كانت جماعية ، وعلى العموم قد استطاع عدد من قدامى قراء الأجواق تأسيس طرق في القراءة عرفت بهم ، وكان لكل شيخ عدد من التلاميذ الذين حملوا طريقته ونشروها ، وكانت الطريقة تنتشر وتختفي حسب عدد الأتباع المقلدين فمثلًا كان شهاب الدين أحمد المعروف باليمني (ت٨٢٥هـ/ ١٤٢١م) أحد قراء الجوق ، «وكان للناس في سماعه رغبة زائدة ، لكنه لم يخلف

=القاهرة- مطابع هيئة الآثار المصرية ١٩٩٤م ، ١٣٠؛ عبد اللطيف إبراهيم علي : وثيقة أمير آخور قراقجا الحسني الجركسي ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، مج ١٨، ع ٢، ١٩٥٦م ، ٢٠٩-٢١٠.

(١) السخاوي (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ت : ٩٠٢هـ/١٤٩٦م) : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، ج ٢، بيروت - منشورات دار الجيل ١٩٩٢م ، ١٤٨.

(٢) السخاوي : الضوء اللامع ٢: ١٤٨.

(٣) ابن حجر (أحمد بن على العسقلاني ت: ٨٥٢هـ/١٤٤٢م) : إنباء الغمر بأنباء العمر ، تحقيق : حسن حبشي ، القاهرة - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٧٢م ، ٢: ٣٦٨.

(٤) ابن حجر : إنباء الغمر ٢: ٣٧٢.

(٥) ابن تغري بردي (جمال الدين أبو المحاسن يوسف ت: ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م) : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، تحقيق : فهيم محمد شلتوت ، القاهرة - الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠٠٨م ، ١٦: ٢١١.

من يقرأ على طريقته»[١].

ومن أشهر القراء المؤسسين لهذه الطريقة القارئ خليل بن عثمان المشبب (ت٨٠١هـ/١٣٩٨م) الذي وصفه ابن حجر بأنه «صاحب صوت شجي في المحراب، وكانت قراءته مطربة مرتلة، صليت خلفه فكان يرتل الفاتحة ويرسل السورة»[٢]، ووصفه ابن الجزري بأنه «محرر ضابط مجود صالح من خيار عباد الله»[٣]. انقطع بسفج جبل المقطم وأقرأ أهل القرافة فترة طويلة، وكان للسلطان الظاهر برقوق اعتقاد كبير فيه ولا يرد شفاعته[٤]، وهو الذي وضع للقراء طريقة القراءة بالأنغام مع مراعاة ما يجب في القراءة من المد وغيره (قواعد التجويد)[٥]، وهذه الطريقة هي التي يقرأ بها عامة قراء مصر والقاهرة[٦].

---

(١) ابن حجر: إنباء الغمر، ٣: ٢٨٥.

(٢) ابن حجر: المجمع المؤسس للمعجم المفهرس، ٣، تحقيق: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، بيروت ـ دار المعرفة، ١٩٩٤م، ١١٣؛ السخاوي: الذيل التام على دول الإسلام للذهبي، حوادث (٧٤٥ـ٨٥٠هـ)، تحقيق: حسن إسماعيل مروه، بيروت ـ دار العماد ١٩٩٢م، ٤٠٣؛ الضوء اللامع، ٣: ٢٠٠.

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، ٣: ٢٠٠.

(٤) المصدر السابق ٣: ٢٠٠.

(٥) ابن قاضي شهبة: تاريخ ابن قاضي شهبة ٤: ٤٥؛ ابن حجر: ذيل الدرر الكامنة، تحقيق: عدنان درويش، القاهرة ـ معهد المخطوطات العربية ١٩٩٢م، ٧١؛ المجمع المؤسس ٣: ١١٣؛ السخاوي: الضوء اللامع ٣: ٢٠٠؛ السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن محمد ت: ٩١١هـ/١٥٠٥م): حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ـ دار إحياء الكتب العربية ١٩٦٧م، ١: ٥١٠.

(٦) المقريزي: درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، تحقيق: محمود الجليلي، بيروت ـ دار الغرب الإسلامي ٢٠٠٢م، ٢: ٦٢؛ العيني (محمود بن أحمد بن موسى ت: ٨٥٥هـ/١٤٥١م): عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، حوادث (٨٠١ـ٨٠٦هـ)، دراسة وتحقيق: إسلام يوشع موسى بينو، رسالة ماجستير غير منشورة في التاريخ، كلية الدراسات العليا، عمان ـ الجامعة الأردنية ٢٠١٠م، ٦٩. كان الشيخ مصطفى إسماعيل في ق١٤هـ/٢٠م يشبه المشبب في تأثيره، فقد أحدث تأثيرًا حقيقيًا في الوسط=

وقد تخرج من طريقة المشبب عدد من نجباء التلاميذ الذين أصبح لعدد منهم طريقة في القراءة نسبت إليه وعرفت به، ومن هؤلاء: شمس الدين بن الطباخ[١] ومن تلاميذه: شهاب الدين أحمد المعروف باليمني (ت٨٢٥هـ/١٤٢١م)[٢]، وشمس الدين محمد الزرزارى (ت ق٩هـ/١٥م) [٣]: وهو من أشهر تلامذة الشيخ المشبب، تخرج على يديه عدد من المشاهير مثل: ابن المحب (ت٨٢٥هـ/ ١٤٢١م)[٤]، وابن النحاس (ت٨٢٦هـ/١٤٢٢م)[٥]، والشمس محمد بن سعيد الصالحي الملقب بسويدان الأسود (ت٨٣٢هـ/١٤٢٨م) وهو من أفضل تلامذة الزرزاري معرفة بالنغم، وقد ظل رئيس لجوقته حتى مات[٦]، وممن قرأ عليه كثيرًا من الأعلام ابن تغري بردي (ت٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م)[٧].

=الموسيقي بما أحدثه من تصرفات موسيقية خلال قراءته. انظر: حسن زكي: إخضاع الموسيقة للتعبيرية في التلاوة «المدرسة المصرية»، مجلة الثقافة الجديدة، القاهرة ـ الهيئة العامة لقصور الثقافة، ع ٢٩٨، يوليو ٢٠١٥م، ١١٩.

(١) السخاوي: الذيل التام، حوادث (٧٤٥-٨٥٠هـ)، ٤٠٣.

(٢) ابن حجر: إنباء الغمر ٣: ٢٨٥.

(٣) السخاوي: الذيل التام، حوادث (٧٤٥-٨٥٠هـ)، ٤٠٣.

(٤) ابن حجر: إنباء الغمر ٣: ٢٩٥؛ السخاوي: الضوء اللامع ١٠: ١٠٦.

(٥) ابن حجر: إنباء الغمر ٣: ٣٢٢؛ السخاوي: الضوء اللامع ١٠: ١٠٧.

(٦) المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة ـ دار الكتب والوثائق القومية ٢٠٠٩م، ٤: ٨١٣؛ ابن حجر: إنباء الغمر ٣: ٤٣٠؛ ذيل الدرر الكامنة، ٣٢١-٣٢٢؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١٥: ١٥٤؛ ابن الصيرفي (علي بن داود ت: ٩٠٠هـ/ ١٤٩٥م): نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، ٣، تحقيق: حسن حبشي، القاهرة ـ دار الكتب المصرية ١٩٧٣م، ١٧١؛ السخاوي: الضوء اللامع ٧، ٢٥٠؛ ابن إياس (محمد بن أحمد الحنفي ت: ٩٣٠هـ/١٥٢٤م): بدائع الزهور في وقائع الزهور، ١ـ ٢، تحقيق: محمد مصطفى، القاهرة ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤م، ٦٩٤.

(٧) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١٥: ١٥٤.

أما الطريقة العياشية المنسوبة للزين بن عياش فقد تخرج منها : الشمس المتبولي (ت بعد ٨٦٠هـ/١٤٥٦م)[١] ، وعثمان بن عبد الله الحسيني (ت٨٧٧هـ/ ١٤٧٢م)[٢] ، ومحمد بن مهنا المعروف بابن طرطور (ت٨٩٥هـ/١٤٩٠م)[٣] حتى صار أحد قراء الجوق المعتبرين إجادة وتأدية[٤]. كما كان لابن الركاب (ت٨٥٦هـ/١٤٥٢م) طريقته التي عرفت بالتمطيط والإفراط في النغم ، لهذا فارقه الشهاب النشرتي (ت٨٦٠هـ/١٤٥٦م) بعد فترة من القراءة معه[٥] ، وعرفت لأبي الفتح النعماني (ت ق٩هـ/١٥م) طريقة تسمى بالنعمانية كان يعطى فيها الحروف حقها[٦].

ويمكن أن نلخص الشروط الأساسية لهذه الطريقة في حسن الصوت ومعرفة شيء من القرآن الكريم والمقامات الموسيقية[٧] ، وما أن يدخل المتدرب للطريقة حتى يُتِمْ حفظ القرآن ومعرفة أحكام التلاوة (التجويد) والمقامات الموسيقية[٨].

وعلى قدر توفر هذه الشروط في القارئ وسرعة التعلم والإجادة على قدر سرعة وصوله إلى منصب رئاسة الجوقة التي ينتمي إليها ، ولكن لم يكن دائمًا الوصول إلى منصب رئاسة الجوقة يأتي بحسن الصوت والنغمة ، فقد عرف مثلاً أن بجوقة

---

(١) السخاوي : الضوء اللامع ٥: ١٣٢.

(٢) المصدر السابق ٥: ١٣٢.

(٣) المصدر السابق ٧: ١١٠.

(٤) المصدر السابق ٧: ١١٠.

(٥) المصدر السابق ٢: ٩.

(٦) المصدر السابق ١١: ١٢٧.

(٧) ظلت هذه الشروط متبعة حتى القرن العشرين الميلادي ، فكان الشيخ علي محمود ـ شيخ عموم المقارئ المصرية ـ «لا يجيز قارئًا ولا مبتهلاً ولا حتى مؤذنًا إلا إذا كان صوته سليمًا مدربا وملمًا بعلم المقامات الموسيقية» حسن زكي : إخضاع الموسيقة للتعبيرية ، ١١٩.

(٨) السخاوي : الضوء اللامع ، ٢: ١٤٨.

الشمس الزرزاري من هو أطيب صوتًا من ابن النحاس (ت٨٢٦هـ/١٤٢٢م) لكنه تقدم بالسكون وكثرة المال[١]، أي أنه كان للبذل والبرطلة (الرشوة) دور فعال في الوصول إلى هذا المنصب.

وممن عرفوا بأنهم رؤساء للأجواق: علي بن يوسف القاهري المعروف بابن المحوجب (٨٥١هـ/١٤٤٧م)[٢]، والشمس المتبولي (ت بعد٨٦٠هـ/١٤٥٦م)[٣]، والشهاب بن الزيات (ت٨٦٧هـ/١٤٦٣م)[٤]، ومحمد بن علي العطار (ت٨٧١هـ/١٤٦٧م) كان رئيسًا لجوقة كأبيه[٥]، والبدر السجيني (ت٨٨٠هـ/١٤٧٥م)[٦]، وكذا قانم المحمدي الظاهري جقمق (٨٩٠هـ/١٤٨٥م)[٧]، والشهاب الديسطي (ت٨٩٨هـ/١٤٩٣م)[٨]، وبركات بن الظريف (ت٨٩٨هـ/١٤٩٣م)[٩]، وأحمد الخواص (ت ق٩هـ/١٥م)[١٠]، وأحمد بن علي القمني المعروف بابن الشيخ علي (ت ق٩هـ/١٥م)[١١] وغيرهم.

ومما هو جدير بالذكر أن القراءة في الجوق كان يرثها الأبناء احترافًا عن الآباء، فقد تدرب الشهاب الحجازي (ت٨٧٥هـ/١٤٧٠م) بوالده في قراءة

---

(١) ابن حجر: إنباء الغمر، ٣: ٣٢٢؛ السخاوي: الضوء اللامع ١٠: ١٠٧.
(٢) المصدر السابق ٦: ٥٤.
(٣) المصدر السابق ١٠: ٨٨.
(٤) المصدر السابق ٢: ٢٣٠.
(٥) المصدر السابق ٨: ٢٣٠.
(٦) المصدر السابق ٣: ١١١.
(٧) المصدر السابق ٦: ٢٠٠.
(٨) المصدر السابق ١: ٢٢٣.
(٩) المصدر السابق ١٠: ١٠٣
(١٠) المصدر السابق ٢: ٢٦٢.
(١١) المصدر السابق ٢: ٢٨.

الجوق[١]، وقرأ ابن عرفات (ت ق٩هـ/١٥م) في الأجواق كأبيه[٢]، وقرأ عبد القادر بن إبراهيم النمراوي المعروف بابن الفوال (ت ق٩هـ/١٥م) مع أبيه في الجوق[٣].

كما نشير إلى أن المماليك وأولاد الناس لم يكونوا بمعزل عن تعلم قراءة الجوق فقد عرف عن الأمير قطلوبغا الكركي الناصري (ت٨٠٩هـ/١٤٠٥م) أنه كان يجيد القراءة بالألحان[٤]، وكان برصيغا الظاهري (ت٨١٦هـ/١٤١٢م) يقرأ مع قراء الجوق[٥]، واشتهر أبو بكر المصارع (ت٨٥٦هـ/١٤٥٢م) بأنه كان يقرأ في الجوق بغير أجرة[٦]، وقرأ أزدمر الإبراهيمي الظاهري المعروف بأزدمر الطويل (ت٨٨٥هـ/١٤٨٠م) مع قراء الجوق[٧].

مشاركة الجوق في الاحتفالات الدينية والمراسم الجنائزية

كان لجوق القراء دور مهم في إحياء الاحتفالات الدينية كالمولد النبوي، فقد شاركت مثلًا خمس وعشرون جوقة في إحياء المولد الذي أقامه السلطان برقوق (٧٨٤-٨٠١هـ/١٣٨٢-١٣٩٨م) سنة ٧٨٥هـ/١٣٨٣م[٨]، وكذا في سنة

---

(١) المصدر السابق ٢: ١٤٨.

(٢) المصدر السابق ١٠: ١٠٣.

(٣) المصدر السابق ٤: ٢٦١.

(٤) ابن حجر: إنباء الغمر ٢: ٣٧٢.

(٥) السخاوي: الضوء اللامع ٣: ١٠.

(٦) ابن تغري بردي: حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، القاهرة ـ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ٢٠٠٩م، ١: ٣٢٧؛ السخاوي: التبر المسبوك في ذيل السلوك، تحقيق: لبيبة إبراهيم مصطفى، نجوى مصطفى كامل، القاهرة ـ دار الكتب والوثائق القومية ٢٠٠٣م، ٤: ٣٧؛ الضوء اللامع ١١: ١٠١.

(٧) السخاوي: الضوء اللامع ٢: ٢٧٣.

(٨) السخاوي: التبر المسبوك ١: ٥٥-٥٦.

٧٩٢هـ/١٣٩٠م[١]، كما شاركوا في الاحتفال الديني الذي أقامه السلطان المؤيد شيخ (٨١٥-٨٢٤هـ/١٤١٢-١٤٢١م) بخانقاه سرياقوس سنة ٨١٨هـ/١٤١٥م[٢]. هذا إلى جانب دورهم المهم في إحياء مراسم العزاء التي كان يقيمها السلاطين والأمراء وكبار رجال الدولة والأعيان، ففي وفاة أبو بكر بن عبد الباسط بن خليل سنة ٨٨٦هـ/١٤٨١م صنع له أبو بكر بن مزهر الأنصاري ـ كاتب السر ـ عزاء كبير حضره عدد من الأكابر والأعيان، وأحضر عدة جوق من القراء فأحيوا عنده تلك الليلة[٣].

وظائف أخرى لقراء الجوق

يُلاحظ من تراجم القراء أن القراءة في الجوق لم تكن العمل الوحيد الذي يعمل به القارئ وإنما اشتغل الكثير منهم كمقرئين في الخانقاوات والمدارس والمحافل وبيوت الأمراء[٤] وغيرها، فمثلاً كان ابن الركاب (ت٨٥٦هـ/١٤٥٢م) من قراء البيبرسية[٥] والجمالية[٦]، وبالجمالية قرئ الشمس المتبولي الضرير (ت بعد٨٦٠هـ/١٤٥٦م)[٧]، بينما كان ابن الفاخوري (ت٨٧١هـ/١٤٦٦م) من قراء الخانقاه

---

(١) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١٢: ٧٣.

(٢) ابن الصيرفي: نزهة النفوس ٢: ٣٥٨.

(٣) ابن الصيرفي: إنباء الهصر بأنباء العصر، تحقيق: حسن حبشي، القاهرة ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٢م، ٥١٠.

(٤) السخاوي: الضوء اللامع ٧: ١١٠.

(٥) هي خانقاه أنشأها ركن الدين بيبرس الجاشنكير قبل أن يلي السلطنة بموضع دار الوزارة تجاه رحبة باب العيد سنة ٧٠٩هـ/١٣٠٩م، وقرر بها أربعمائة صوفي وأوقف عليها. انظر: ابن قاضي شهبه (أبو بكر أحمد بن قاضي شهبة الأسدي المتوفى ٨٥١هـ/١٤٤٨م): طبقات الشافعية، تحقيق: عبد العليم خان، بيروت ـ عالم الكتب ١٩٨٧م، ٢: ٢٤٧.

(٦) السخاوي: التبر المسبوك ٤: ٥٢؛ الضوء اللامع ٥: ٢٦٦.

(٧) السخاوي: الضوء اللامع ١٠: ٨٨.

الصلاحية[١] والبيبرسية[٢]، وممن قرأ بهذين المكانين الشهاب الحجازي (ت٨٧٥هـ/١٤٧٠م)[٣].

وفيما يخص المشاهد فقد اشتهر مشهد الإمام الليث بن سعد بالقرافة بتواجد عدد من جوق القراء بصفة دائمة للقراءة فيه منها جوقة علي بن يوسف القاهري المعروف بابن المحوجب (٨٥١هـ/١٤٤٧م)[٤]، وكذا قائم المحمدي الظاهر جقمق (٨٩٠هـ/١٤٨٥م)[٥]، ومن القراء شمس الدين محمد بن محمد البدراني الشافعي (ت٨٥٦هـ/١٤٥٢م) الذي لازم القراءة في الجوق بالمقام كل جمعة[٦]، وكذا ابن النحاس (ت٨٦٤هـ/١٤٦٠م)[٧].

كما عمل بعضهم بالقراءة في قلعة الجبل وبالأخص في القصر السلطاني والطباق السلطانية، فقد كان لعبد الرحمن المصري (ت٨٩١هـ/١٤٨٦م) نوبة قراءة في القلعة[٨]، وكذا بركات بن الظريف (ت٨٩٨هـ/١٤٩٣م)[٩]، كما قرئ كل من عبد القادر بن محمد المقسي المعروف بابن سعيدة (ت بعد٨٨٦هـ/١٤٨١م)[١٠]،

---

(١) كانت دار تعرف في العصر الفاطمي باسم سعيد السعداء، وقد حولها صلاح الدين من دار إلى خانقاه لفقراء الصوفية القادمين من الشام وأوقفها عليهم سنة ٥٦٩هـ/١١٧٣م، ولذلك عرفت بالناصرية والصلاحية. انظر: عاصم محمد رزق: خانقاوات الصوفية، القاهرة ـ مكتبة مدبولي ١٩٩٧م، ١٢٨.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع ٤: ٢٨٩.

(٣) المصدر السابق ٢: ١٤٨.

(٤) المصدر السابق ٦: ٥٤.

(٥) المصدر السابق ٦: ٢٠٠.

(٦) السخاوي: التبر المسبوك ٤: ٦٧.

(٧) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١٦: ٢١١.

(٨) السخاوي: الضوء اللامع ٤: ١٦٣.

(٩) المصدر السابق ١٠: ١٠٣

(١٠) المصدر السابق ٤: ٢٩٠.

ومحمد بن زكريا السهيلي (ت ق٩هـ/١٥م) بالقصر السلطاني والدهيشة[١] ، بينما قرأ الشهاب النشرتي (ت٨٦٠هـ/١٤٥٦م) بالطباق السلطانية[٢]. كما كان بعضهم يتكسب بالقراءة في بيوت الأمراء كما كان يفعل رضوان بن علي بن رضوان (ت ق٩هـ/١٥م)[٣].

ولم يقتصر الأمر على القراءة بل عمل بعضهم بحرف ومهن أخرى ، فقد عين الشمس الصالحي المعروف بسويدان الأسود (ت٨٣٢هـ/١٤٢٨م) في حسبة القاهرة سنة ٨٠٧هـ/١٤٠٤م[٤] ، واشتغل أحمد بن موسى المعروف بالمتبولي (ت ق٩هـ/١٥م) بالشهادة في أحد حوانيت الشهود بالقاهرة[٥] ، واحترف ابن زيادة (ت بعد٨٨٩هـ/١٤٨٤م) بيع الحرير في حانوت له[٦] ، وعمل الشهاب الدماطي (ت٨٩٠هـ/١٤٨٥م) بنسخ الكتب والتذهيب[٧] ، وأعتقد أن السبب في المزاوجة بين العمل بالجوقة وأعمال أخرى هو أن عمل الجوقة عمل حر متغير ومتوقف على الإقبال والطلب بينما للأعمال الأخرى على اختلاف أشكالها أجر ثابت ومعلوم يضمن حياة مستقرة.

---

(١) السخاوي : الضوء اللامع ٨: ١٨٢. والدهيشة : عمرها الصالح إسماعيل سنة ٧٤٥هـ/١٣٤٤م. انظر : المقريزي : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، تحقيق : أيمن فؤاد سيد ، لندن ـ مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ٢٠٠٤م ، ٣: ٦٨٠.

(٢) السخاوي : الضوء اللامع ٢: ٩.

(٣) المصدر السابق ٣: ٢٢٦.

(٤) المقريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك ٣: ١١٣٠؛ ابن تغري بردي : الدليل الشافي على المنهل الصافي ، تحقيق : فهيم محمد شلتوت ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، د.ت ، ١: ٦٢٣؛ ابن إياس : بدائع الزهور ١ـ ٢، ٦٩٤.

(٥) السخاوي : الضوء اللامع ٢: ٢٢٨.

(٦) المصدر السابق ٧: ٢٤٥.

(٧) المصدر السابق ١: ٢٧١.

أجور قارئي الجوق

ذكرنا في السابق أن الكثير من قراء الجوق انخرطوا ضمن جوق القراء التي كان يقررها الواقف في المؤسسات الدينية والتعليمية كالخانقاوات والمدارس وهي تختلف من مكان لآخر حسب شرط الواقف فقد تكون خمس جوق كل جوق ثلاثة قراء كما في حجة الأمير قراقجا الحسني[١]، وهؤلاء مقسمون على عدد الصوات الخمس وخصص لكل جوقة مائتا درهم أو ما يقوم مقامها. كما رتب السلطان المؤيد شيخ في جامعه سبع عشرة جوقة كل جوقة سبعة أشخاص يتناوبون في القراءة ليلًا ونهارا وقرر لكل منهم خمسة أنصاف مؤيدية[٢].

وفي الموالد والاحتفالات الدينية كانت تنهال عليهم الأموال والخلع ففي المولد النبوي سنة ٧٩٢هـ/١٣٩٠م أنعم السلطان على كل جوقة من جوق القراء بمبلغ خمسمائة درهم[٣]، وإذا قلنا إن الجوقة تتكون من عشرة أفراد فإن أجر القارئ في الجوقة يقدر بخمسين درهمًا، وفي الاحتفال الديني الذي أقامه السلطان المؤيد شيخ (٨١٥-٨٢٤هـ/١٤١٢-١٤٢١م) بخانقاه سرياقوس[٤] سنة ٨١٨هـ/١٤١٥م أنعم على عشرين جوقة من القراء بمبلغ ١٥ ألف درهم[٥]، وهذا يعني أن

---

(١) عبد اللطيف إبراهيم علي: وثيقة أمير آخور قراقجا الحسني الجركسي، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، مج ١٨، ع ٢، ١٩٥٦م، ص٢٠٩-٢١٠.

(٢) حجة وقف المؤيد شيخ، رقم ٩٣٨، سنة ٨٢٣هـ، أرشيف وزارة الأوقاف. وأيضًا: علي باشا مبارك: الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة، بولاق ـ المطبعة الأميرية، ١٨٨٨م، ٥: ١٢٧.

(٣) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١٢: ٧٣.

(٤) هذه الخانقاة بناها الناصر محمد بن قلاوون بسرياقوس بأعمال القليوبية سنة ٧٢٣هـ/١٢٢٣م. المقريزي: الخطط ٣: ٥٤٠ وحاشيتها.

(٥) المقريزي: السلوك ٤: ٣٣٧؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١٤: ٣٨؛ ابن الصيرفي: نزهة النفوس ٢: ٣٥٨.

كل جوقة حصلت على مبلغ سبعمائة وخمسون درهمًا ، وبالتالي حصل كل فرد في الجوقة المكونة من عشرة أشخاص على خمسة وسبعين درهمًا تقريبًا ، ويمكن إرجاع هذا التغير إلى نوع المناسبة المشارك فيها وشهرة الجوقة ، ولكن لا ننسى أن هناك فروقًا فردية بين الجوق وداخل الجوقة الواحدة ، ولهذا لن يتساوى الجميع فقد يزاد لجوقة على حساب أخرى وقد يزاد لفرد على حساب آخر أقل اتقانًا منه.

وبجانب الأجور حصل هؤلاء على الخلع من الأمراء والسلاطين وأعيان الدولة ففي ليلة المولد السلطاني سنة ٧٨٥هـ/١٣٨٣م في عهد السلطان برقوق (٧٨٤-٨٠١هـ/١٣٨٢-١٣٩٨م) أحصى ابن الجزري (ت٨٣٣هـ/١٤٢٩م) خمسًا وعشرين جوقة من القراء لم ينزل أحد منهم إلا بنحو عشرين خلعة من السلطان والأمراء[١].

وقد استطاع العديد من رؤساء الأجواق تكوين ثروات من جراء كثرة الاقبال على طريقتهم وبخاصة من بيوت الأعيان وكبار رجال الدولة ، فقد جاء في ترجمة الشهاب بن الزيات (ت٨٦٧هـ/١٤٦٣م) بأنه «ترقى في رئاسة الجوق وأثري منها»[٢] ، أما الشهاب الديسطي (ت٨٩٨هـ/١٤٩٣م) فقد قرأ في الجوق حتى تولى رئاسة جوقته وجمع من ذلك مال وفير[٣] ، وكثرت أملاك وثروات أحمد بن علي القمني المعروف بابن الشيخ علي (بعد ٨٩٠هـ/١٤٨٥م)[٤] حتى كان يقرأ في المحافل والمشاهد بدون مقابل منفردًا عن جوقته.

وقد اتجه بعض هؤلاء إلى وقف الأراضي على أوجه الخير كما فعل خليل بن عثمان المشبب الذي أوقف بعض الأراضي بالجيزة على مصالح الحرمين الشريفين

---

(١) السخاوي : التبر المسبوك ١: ٥٥-٥٦.

(٢) السخاوي : الضوء اللامع ٢: ٢٣٠.

(٣) المصدر السابق ١: ٢٢٣.

(٤) المصدر السابق ٢: ٢٨.

وجعل النظر فيها لقاضي الحنابلة[١]، وإذا كانت هذه الثروات قد مكنتهم من العيش في حياة مترفة إلا أنها في الوقت ذاته كانت سببًا في توجيه انظار السلاطين إليهم علهم يظفرون بشيء كما فعل السلطان قايتباي مع ابن الشيخ علي سنة ٨٨٩هـ/١٤٨٤م[٢].

تجاوزات جوق القراء والموقف منها

اتسعت دائرة جوق القراء، واشتهرت طريقتهم واقبل عليها الكثير من الناس للتعلم والسماع، فازداد القراء في استعمال التطريب والألحان في قراءة القرآن لجذب الناس إليهم حتى فسد الأمر، فقد عُرف مثلًا عن نور الدين علي المعروف ببطيخ (ت٨٥٦هـ/١٤٥٢م) ـ أحد رؤساء الجوق ـ بأنه كان يهتم بالنغم على حساب التجويد، وكان الشمس السخاوي يبغض طريقته لكنه اعترف بأنه أستاذ في هذا الفن[٣]، وكذا ابن الركاب (ت٨٥٦هـ/١٤٥٢م) ـ أحد رؤساء الجوق ـ الذي رافقه الشهاب أحمد بن علي النشرتي (ت٨٦٠هـ/١٤٥٦م) مدة في طريقته ثم تركها لما فيها من التمطيط ونحوه[٤].

ونتيجة لهذا سعى خليل بن عثمان المشبب في طريقته إلى وضع نظام يوازن بين صحة القراءة طبقًا لقواعد التجويد ونحوها؛ وبين التغني به مستخدمًا النغم دون التمادي فيه والبعد عن التمطيط والتهتيك كما تفعل بعض الطرق الأخرى، لهذا نراه كما قلنا قبل ذلك ينكر على جماعة من قراء الأجواق طريقتهم في القراءة بحيث إنه كان إذا مر بهم وهم يقرؤون يسد أذنيه[٥]، وذلك لأن الغاية من معرفة

---

(١) المصدر السابق ٣: ٢٠٠.

(٢) المصدر السابق ٢: ٢٨.

(٣) المصدر السابق ٥: ١٩٨.

(٤) المصدر السابق ٢: ٩.

(٥) المقريزي: درر العقود الفريدة ٢: ٦٢؛ السخاوي: الضوء اللامع ٣: ٢٠٠؛ ابن حميد=

القارئ للأنغام هي مساعدته في تصوير الآية فينتقل من مقام إلى آخر دون أن يشعر المستمع بذلك؛ فيتعايش هؤلاء المستمعون مع الآيات ويتأثرون بها حتى وإن لم يكونوا على فهم لها وذلك من جراء التأثير الموسيقي. ووضع في ذلك رسالة سماها «تحفة الإخوان فيما تصح به قراءة القرآن»[١].

لم يكن الشيوخ والفقهاء بمعزل عن ذلك فقد وقف الكثير منهم موقف المنكر مما يفعله هؤلاء القراء، فكان ابن الحاج المالكي (ت٧٣٧هـ/١٣٣٧م) من أشد الناقدين لما يسمى بقراء الجنائز الذين يخرجون في صورة جوق ليقرؤوا القرآن أمام الجنائز فيقول: «... وليحذر من البدعة الأخرى التي يفعلها أكثرهم وهي أنهم يأتون بجماعة من الفقراء ويسمونهم الفقراء الذاكرين يذكرون أمام الجنائز على صوت واحد ويتصنعون في ذكرهم ويتكلفون به على طرق مختلفة، وكل طائفة لها طريقة في الذكر وعادة تختص بها، فيقولون هذه طريقة كذا وهذه طريقة كذا كما جرت عاداتهم على اختلاف الأحزاب التي يقرؤونها، ثم العجب منهم كيف يأتون بالفقراء للذكر على الجنازة للتبرك بهم وهم عنه بمعزل...»[٢]. كما يقول: «... ومما أحدثه الناس أيضًا عند المقابر هؤلاء القراء الذين يقرؤون القرآن

=النجدي (محمد بن عبد الله ت: ١٢٩٥هـ/١٨٧٨م): السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة، الرياض ـ مكتبة الإمام أحمد، د.ت، ١٦٤.

(١) حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، بيروت ـ دار إحياء التراث العربي، د.ت، ١: ٣٦١؛ إسماعيل البغدادي: هداية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، بيروت ـ دار إحياء التراث العربي، د.ت، ١: ٣٥٣؛ الزركلي: الأعلام، بيروت ـ دار العلم للملايين، د.ت، ٢: ٣٢٠. منه نسخة خطية بدار الكتب الوطنية بتونس تحت رقم ١٨٥٦٧، ورقة ٢٣ـ٢٨، وأخرى بجامعة الملك سعود بالرياض تحت رقم ٨/٢٤٨٤. الفهرس الشامل للتراث العربي المخطوط، ١ «مخطوطات التجويد»، مؤسسة آل البيت، عمان ـ الأردن ١٩٨٦م، ١٥٨؛ عبد الله بن محمد الطريقي: معجم مصنفات الحنابلة، الرياض ٢٠٠١م، ٤: ٢٤٨.

(٢) ابن الحاج (محمد بن محمد العبدري المتوفى: ٧٣٧هـ/١٣٣٧م): المدخل، ٣، القاهرة ـ مكتبة دار التراث، د.ت، ٢٥٠.

بالترجيع والزيادة والنقصان والتمطيط والمد في غير موضعه وتخفيف المشدود والعكس وترتيبها على طرق الغناء وهذا كله حرام...»[١].

أما الذهبي (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م) فكان يرى أن هؤلاء في الجملة من قرأ منهم بقلب وخوف قد ينتفع به في الجملة، ويؤكد على ذلك بقوله: «فقد رأيت من يقرأ صحيحًا ويطرب ويبكي، ورأيت من إذا قرأ قسى القلوب وأبرم النفوس وبدل كلام الرب» ويذكر أن أسوأهم حالًا قراء الجنائز[٢]، ووقف التاج السبكي الشافعي (ت٧٧١هـ/ ١٣٦٩م) منهم موقف الناصح فقال في كتابه: «وعليهم إعمال جهدهم في تأدية كلام الله تعالى كما أنزل من غير مطمطة ولا عجرفة؛ بل بلفظ بين، وقد اشتملت كتب القراء على الغرض من ذلك»[٣].

ويرى ابن خلدون المالكي (ت٨٠٨هـ/١٤٠٦م) كراهية التلحين في القراءة تماشيًا مع مذهبه المالكي فيقول: «وكثير من القُرّاء بهذه المثابة يقرؤون القرآن فيجيدون في تلاحين أصواتهم كأنها المزامير فيطربون بحسن مساقهم وتناسب نغماتهم... وهذا هو التلحين الذي يتكفل به علم الموسيقى... وقد انكر مالك القراءة بالتلحين وأجازها الشافعي رضي الله عنه، وليس المراد تلحين الموسيقى الصناعي (الآلات) فإنه لا ينبغي أن يختلف في حظره إذ صناعة الغناء مباينة للقرآن بكل وجه». ولهذا كان على المحتسبين أن يمنعوا القراء من قراءة القرآن بالألحان كما تلحن الأغاني والأشعار[٤].

---

(١) المصدر السابق ١: ٢٦٨.

(٢) الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ت: ٧٤٨هـ/١٣٤٧م): زغل العلم، تحقيق: محمد بن ناصر العجمي، الرياض ـ مكتبة الصحوة الإسلامية ١٩٨٤م، ٢٦.

(٣) السبكي (عبد الوهاب بن على بن عبد الكافي المتوفى: ٧٧١هـ/ ١٣٦٩م): معيد النعم ومبيد النقم، تحقيق: محمد على النجار وغيره، القاهرة ـ مكتبة الخانجي ١٩٩٣م، ١١٠؛ ابن طولون (محمد بن طولون الصالحي الدمشقي ت: ٩٥٣هـ/١٥٤٦م): نقد الطالب لزغل المناصب، تحقيق: محمد أحمد دهمان وخالد محمد دهمان، بيروت ـ دار الفكر المعاصر ١٩٩٢م، ١٥٦.

(٤) المقدسي (أبي حامد محمد بن أحمد ت: ٨٩٣هـ/١٤٨٨م): بذل النصائح الشرعية فيما على=

ويعدد ابن خلدون الفروق بين التلحين والقرآن ثم يقول : «وإنما مرادهم التلحين البسيط الذي يهتدي إليه صاحب المضمار بطبعه فيردد أصواته ترديدا على نسب يدركها العالم بالغناء وغيره... والظاهر تنزيه القرآن عن هذا كله كما ذهب إليه الإمام مالك لأن القرآن محل خشوع بذكر الموت وما بعده وليس مقام التذاذ بإدراك الحسن من الأصوات وهكذا كانت قراءة الصحابة كما في أخبارهم وأما قوله ﷺ لقد أوتي مزمارا من مزامير آل داود فليس المراد به الترديد والتلحين وإنما معناه حسن الصوت وأداء القراءة والإبانة في مخارج الحروف والنطق بها»[١] ، وتحت ضغط الفقهاء أصدر السلطان الظاهر برقوق أوامره سنة ٧٩٠هـ/١٣٨٨م بمنع قراء الأجواق من التهتك ، وجعل عوض عنه الصلاة علي النبي محمد ﷺ[٢].

وقد ظلت آفة قراء الأجواق من التمطيط والزيادة والترجيع ونحوه موجودة حتى نهاية العصر المملوكي ، وقد أجاب الجلال السيوطي الشافعي (ت٩١٢هـ/ ١٥٠٥م) عندما سئل عن قوم يقرؤون القرآن بأصوات حسنة محترزين من الزيادة والنقص فيه عالمين بأحكام القراءة هل يمنعون من ذلك؟ بقوله : «قراءة القرآن بالألحان والأصوات الحسنة والترجيع إن لم تخرجه عن هيئته المعتبرة سنة حسنة وإن أخرجته فحرام فاحش»[٣] ، وفي هذا شأن استعمال النغم في القراءة ألف ابن

=السلطان والأمراء وسائر الرعية ، تحقيق : سالم بن طعمة الشمري ، رسالة ماجستير غير منشورة في الدعوة والاحتساب ، الرياض ـ جامعة الإمام محمد بن سعود ١٩٩٦م ، ٢٩٢.

(١) ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد المتوفى ٨٠٨هـ/١٤٠٦م) : العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، قدم للطبعة : عبادة كحيلة ، القاهرة ـ الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠٠٧م ، ١: ٣٥٥-٣٥٦.

(٢) ابن الفرات (محمد بن عبد الرحيم المتوفى ٨٠٧هـ/١٣٥٦م) : تاريخ ابن الفرات ، تحقيق : قسطنطين زريق ، بيروت ـ المطبعة الأمريكانية ١٩٣٦م ، ٩/ ١: ٢٥؛ ابن الصيرفي : نزهة النفوس ، ١: ١٦٨؛ ابن إياس : بدائع الزهور ١، ق ٢: ٣٩٠.

(٣) السيوطي : الحاوي للفتاوى ، بيروت ـ دار الكتب العلمية ١٩٨٢م ، ١: ٢٥١.

الكيال الشافعي (ت٩٢٩هـ/١٥٢٢م)[١] في سنة٨٩١هـ/١٤٨٦م كتاب بعنوان «الأنجم الزواهر في تحريم القراءة بلحون أهل الفسق والكبائر» حط فيه على أفعال هؤلاء[٢].

وكان الشيخ عبد الوهاب الشعرانى الشافعي (ت٩٧٣هـ/١٥٦٧م) ينكر على قراء الأجواق ، فيقول : «أخذت عليه العهود ألا يمكن أحد من إخوانه المنقادين له من القراءة بالأنغام الخارجة عن قواعد السلف ومثل القراءة في ذلك الآذان والتبليغ خلف الإمام والصوت الحلو إنما هو أمر خلقى ، وأما التلحينات التى يفعلها قراء الأجواق ويمططون الحرف ويمدونه في غير المد فذلك حرام كما أفتى به بعضهم»[٣].

وقد بلغ اليأس من قلوب أحد كبار القراء بمكة في إصلاح انحرافات قراء الجوق بمصر حتى قال لعبد الغني بن محمد القاهري المعروف بابن القصاص (ت٨٧٥هـ/ ١٤٧٠م) وكان يقرأ عليه بالتجويد : «أحيا الله قلبك كما أحييت السنة والله لا يزول تمطيط قراء الجوق حتى ينزل سيدنا عيسى عليه السلام»[٤].

---

(١) عن ترجمته انظر : الغزي (نجم الدين بن محمد بن أحمد القرشي الشافعي المتوفى ١٠٦١هـ/ ١٦٤٩م) : الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة ، تحقيق : جبرائيل سليمان جبور ، بيروت ـ نشر محمد أمين دمج ، د.ت ، ١: ١٦٧.

(٢) ابن الكيال (بركات بن أحمد بن محمد ت: ٩٢٩هـ/١٥٢٢م) : الأنجم الزواهر في تحريم القراءة بلحون أهل الفسق والكبائر ، تحقيق : مشعل بن باني الجبرين المطيري ، بيروت ـ دار البشائر الإسلامية ٢٠٠٩م ، ٩٤ـ ٩٥، ١٠٥.

(٣) الشعراني (عبد الوهاب بن أحمد المتوفى ٩٧٣هـ/١٥٦٧م) : البحر المورود في المواثيق والعهود ، القاهرة ـ مكتبة الثقافة الدينية ٢٠٠٤م ، ١٧٩.

(٤) السخاوي : الضوء اللامع ٤: ٢٥٦.

الخاتمـــة

انتهت الدراسة إلى أن طريقة جوق القراء لم تظهر بوضوح إلا في القرنين الثامن والتاسع الهجريين/الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين ، وكان لكل جوقة رئيس له طريقه في القراءة تختلف عن الجوق الأخرى ، وأن الطريقة الواحدة بعد مدة من الزمن تتولد منها طرق جديدة ، كما اعتبرت الدراسة عثمان المشبب هو الأب الروحي لجوق القراء للجهد الذي بذله في تدعيم أسس قراءة الجوق ومعالجة بعض ما أصابها من انحراف عن المسار الصحيح.

كما خصلت إلى أن قراءة الجوق أصابها التدهور في فترة الظهور وذلك لانصراف المقرئين عن الهدف الأصلي وهو قراءة القرآن وتجويده بصوت حسن إلى إطراب الناس وبذل الجهد في ذلك حتى لو تعارض مع أحكام التجويد ، وقد حاول المشبب إصلاح هذا الخلل بطريقته التي عرف بها لكن التدهور كان قد سرى في هذه الطريقة ، وهذا جر عليها الكثير من النقد اللاذع ـ من قبل الفقهاء والمشايخ وبخاصة المالكية ـ الذي ظل مستمرًا حتى نهاية العصر المملوكي. كما نبهت الدراسة على أن هؤلاء القراء جمعوا بين الوظيفة الحرة وهي القراءة في الجوق وبين القراءة في المؤسسات الدينية كالخانقاوات وغيرها وذلك لضمان الحصول على دخل ثابت يضمن لهم إقامة حياة كريمة.

ثبت بأسماء قراء الجوق

الاسم	تاريخ الوفاة	المصدر
خليل بن عثمان المشبب	٨٠١هـ/١٣٩٨م	ابن قاضي شهبة: تاريخ ابن قاضي شهبة، ج٤، ص٤٥
يوسف بن مبارك الصالحي	٨٠٢هـ/١٣٩٩م	ابن حجر: إنباء الغمر، ج٢، ص١٣٢.
عبد الرحمن بن محمد الرشيدي المؤقت	٨٠٣هـ/١٤٠٠م	ابن قاضي شهبة: تاريخه، ج٤، ص٢١٩.
جمال الدين عبد الله بن خليل المارديني	٨٠٩هـ/١٤٠٦م	ابن حجر: إنباء الغمر، ج٢، ص٣٦٨
شمس الدين محمد بن علي الحجازي القاهري	٨٠٩هـ/١٤٠٦م	السخاوي: الضوء اللامع، ج٨، ص١٧٩.
محمد المعروف بابن المحب	٨٢٥هـ/١٤٢١م	ابن حجر: إنباء الغمر، ج٣، ص٢٩٥.
شهاب الدين أحمد المعروف باليمني	٨٢٥هـ/١٤٢١م	ابن حجر: إنباء الغمر، ج٣، ص٢٨٥.
محمد المعروف بابن النحاس	٨٢٦هـ/١٤٢٢م	ابن حجر: إنباء الغمر، ج٣، ص٣٢٢.
علي بن محمد بن قاسم المعروف بالمرخم	بعد ٨٣٠هـ/١٤٢٧م	السخاوي: الضوء اللامع، ج٦، ص٧.
محمد بن سعيد المعروف بسويدان الأسود	٨٣٢هـ/١٤٢٩م	السخاوي: الضوء اللامع، ج٧، ص٢٥٠.
شرف الدين محمد بن موسى اللقاني الأزهري	٨٤٠هـ/١٤٣٦م	ابن حجر: إنباء الغمر، ج٤، ص٦٣.
علي بن يوسف القاهري (ابن المحوجب)	٨٥١هـ/١٤٤٧م	السخاوي: الضوء اللامع، ج٦، ص٥٤.
عبد القادر بن خليل الحريري	٨٥٢هـ/١٤٤٨م	السخاوي: الضوء اللامع، ج٤، ص٢٦٧.
أبو بكر المصارع ويعرف بالشاطر وابن الإمام	٨٥٦هـ/١٤٥٢م	السخاوي: التبر المسبوك، ج٤، ص٣٧

علي القاهري الشهير بابن الركاب	٨٥٦هـ/١٤٥٢م	السخاوي: الضوء اللامع، ج٥، ص٢٦٦
علي القاهري الشهير ببطيخ	٨٥٦هـ/١٤٥٢م	السخاوي: الضوء اللامع، ج٥، ص١٩٨
محمد بن محمد البدراني الشافعي	٨٥٦هـ/١٤٥٢م	السخاوي: التبر المسبوك، ج٤، ص٦٧.
أحمد بن علي النشرتي القاهري الشافعي	٨٦٠هـ/١٤٥٦م	السخاوي: الضوء اللامع، ج٢، ص٩.
محمد بن يوسف المتبولي القاهري الضرير	بعد ٨٦٠هـ/١٤٥٦م	السخاوي: الضوء اللامع، ج١٠، ص٨٨.
محمد بن أحمد بن خلف المعروف بابن النحاس	٨٦٤هـ/١٤٦٠م	السخاوي: الضوء اللامع، ج٧، ص٦٣.
أحمد بن موسى بن هارون (ابن الزيات)	٨٦٧هـ/١٤٦٣م	السخاوي: الضوء اللامع، ج٢، ص٢٣٠.
علي بن محمد بن علي العدوي القاهري	٨٧٠هـ/١٤٦٦م	السخاوي: الضوء اللامع، ج٥، ص٣٢٣
عبد القادر بن محمد بن سعيد (ابن الفاخوري)	٨٧١هـ/١٤٦٧م	السخاوي: الضوء اللامع، ج٤، ص٢٨٩.
محمد بن علي العطار	٨٧١هـ/١٤٦٧م	السخاوي: الضوء اللامع، ج٨، ص٢٣٠.
خليل بن محمد بن إبراهيم العطار المقرئ	بعد ٨٧١هـ/١٤٦٧م	السخاوي: الضوء اللامع، ج٣، ص٢٠٢.
أحمد بن محمد العبادي المعروف الحجازي	٨٧٥هـ/١٤٧٠م	السخاوي: الضوء اللامع، ج٢، ص١٤٨.
عثمان بن عبد الله الحسيني القاهري الشافعي	٨٧٧هـ/١٤٧٢م	السخاوي: الضوء اللامع، ج٥، ص١٣٢
حسن بن علي السجيني	٨٨٠هـ/١٤٧٥م	السخاوي: الضوء اللامع، ج٣، ص١١١.
أبو النجا الكولمي	٨٨٢هـ/١٤٧٧م	السخاوي: الضوء اللامع، ج١١، ص١٤٦.
أحمد بن حسن الهيتمي القاهري الشافعي	٨٨٢هـ/١٤٧٧م	السخاوي: الضوء اللامع، ج١، ص٢٧٣.

محمد بن إبراهيم النيني القاهري (الفتوحي)	٨٨٥هـ/١٤٨٠م	السخاوي: الضوء اللامع، ج٦، ص٢٤٣.
عبد القادر بن محمد بن عبد الله المقسي	بعد٨٨٦هـ/١٤٨١م	السخاوي: الضوء اللامع، ج٤، ص٢٩٠.
محمد بن علي بن قاسم المعروف بابن المرخم	٨٨٨هـ/١٤٨٣م	السخاوي: الضوء اللامع، ج٨، ص٢٠٥.
أحمد بن حسن الدماطي الأزهري	٨٩٠هـ/١٤٨٥م	السخاوي: الضوء اللامع، ج١، ص٢٧١.
قانم المحمدي الظاهر جقمق	٨٩٠هـ/١٤٨٥م	السخاوي: الضوء اللامع، ج٦، ص٢٠٠.
التاج محمد بن أحمد بن عمر الزاهد	٨٩٠هـ/١٤٨٥م تقريبا	السخاوي: الضوء اللامع، ج٧، ص٣٥.
محمد بن زيادة القاهري الحريري (ابن زيادة)	بعد٨٨٩هـ/١٤٨٤م	السخاوي: الضوء اللامع، ج٧، ص٢٤٥.
أحمد بن علي القمني القاهري الشافعي	بعد٨٩٠هـ/١٤٨٥م	السخاوي: الضوء اللامع، ج٢، ص٢٨.
البدر الحسن بن حسين الطولوني	بعد٨٩٠هـ/١٤٨٥م	السخاوي: الضوء اللامع، ج٣، ص٩٨.
عبد الرحمن الأمين المصري	٨٩١هـ/١٤٨٦م	السخاوي: الضوء اللامع، ج٤، ص١٦٣.
محمد الجوهري المقرئ ويعرف بابن عرفات	٨٩١هـ/١٤٨٦م	السخاوي: الضوء اللامع، ج١٠، ص١٠٣
أبو الفتح بن إبراهيم القطوري القاهري	٨٩٣هـ/١٤٨٨م	السخاوي: الضوء اللامع، ج١١، ص١٢٢.
عبد العزيز بن عز الدين النفيائي المصري	٨٩٣هـ/١٤٨٨م	السخاوي: الضوء اللامع، ج٤، ص٢٤٠.
محمد بن أحمد بن مهنا المعروف بابن طرطور	٨٩٥هـ/١٤٩٠م	السخاوي: الضوء اللامع، ج٧، ص١١٠.
عمر بن عبد الله الدمياطي القاهري	٨٩٧هـ/١٤٩٢م	السخاوي: الضوء اللامع، ج٦، ص٩٨.
منصور بن المؤيد أحمد بن الأشرف إينال	٨٩٧هـ/١٤٩٢م	السخاوي: الضوء اللامع، ج١٠، ص١٧٢.

أحمد بن أحمد الديسطي الأزهري المقرئ	٨٩٨هـ/١٤٩٣م	السخاوي: الضوء اللامع، ج١، ص٢٢٣.
بركات بن الظريف	٨٩٨هـ/١٤٩٣م	ابن إياس: بدائع الزهور، ج٣، ص٢٩٥.
عبد الظاهر بن أحمد بن عبد الظاهر النفهني	٨٩٨هـ/١٤٩٣م	السخاوي: الضوء اللامع، ج٤، ص٢١١
أحمد بن علي الزيادي القاهري الشافعي	بعد٨٩٨هـ/١٤٩٣م	السخاوي: الضوء اللامع، ج٢، ص١٢.
إبراهيم بن علي النمراوي المالكي	ق٩هـ/١٥م	السخاوي: الضوء اللامع، ج٤، ص٢٦١.
أحمد بن عباد بن شعيب الخواص	ق٩هـ/١٥م	السخاوي: الضوء اللامع، ج٢، ص٢٦٢.
أحمد بن موسى القاهري الشافعي (المتبولي)	ق٩هـ/١٥م	السخاوي: الضوء اللامع، ج٢، ص٢٢٨.
رضوان علي رضوان القاهري	ق٩هـ/١٥م	السخاوي: الضوء اللامع، ج٣، ص٢٢٦
عبد القادر بن إبراهيم النمراوي (ابن الفوال)	ق٩هـ/١٥م	السخاوي: الضوء اللامع، ج٤، ص٢٦١
عبد القادر بن علي بن صدقة (ابن الحيلوك)	ق٩هـ/١٥م	السخاوي: الضوء اللامع، ج٤، ص٢٧٨.
عبد القاهر بن عبد الظاهر بن أحمد النفهني	ق٩هـ/١٥م	السخاوي: الضوء اللامع، ج٤، ص٣٠٢.
محمد بن أحمد بن حسن الحجازي المصري	ق٩هـ/١٥م	السخاوي: الضوء اللامع، ج٦، ص٣٠٥.
محمد بن إسماعيل بن رضوان المحلي	ق٩هـ/١٥م	السخاوي: الضوء اللامع، ج٨، ص١٧١.
محمد بن زكريا السهيلي	ق٩هـ/١٥م	السخاوي: الضوء اللامع، ج٨، ص١٨٢.
محمد بن علي بن زيادة الغمري	ق٩هـ/١٥م	السخاوي: الضوء اللامع، ج٨، ص١٨٣.